عدد خاص
الكتابة والخط

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة
المجلد التاسع والعشرون - العدد الاول - ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ

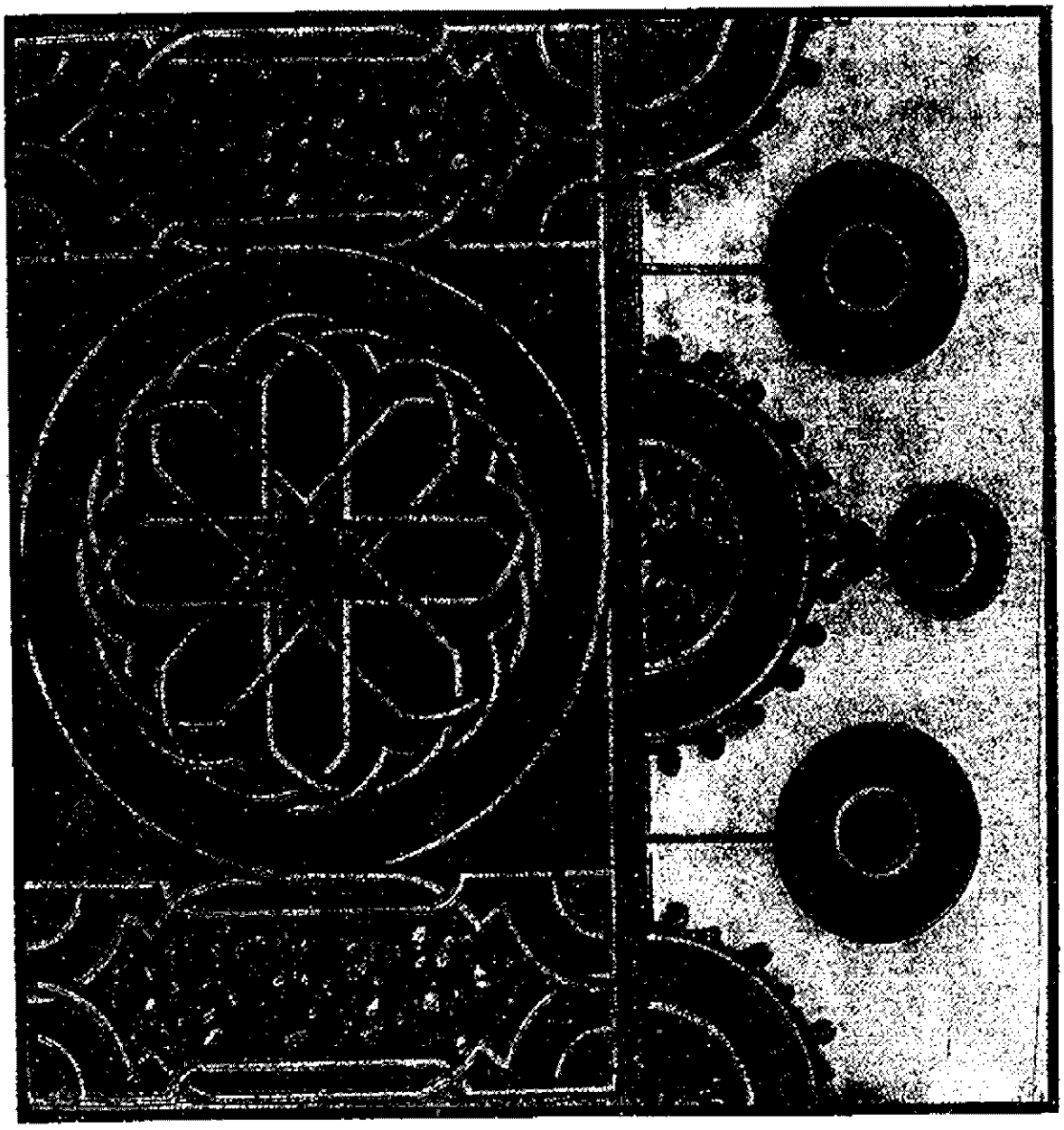

www.dorat-ghawas.com

المحتوى

■ المورد

الكتابة ... تميز الفعل المشهود ..... د . محمد البكاء ٢

■ بحوث ودراسات

فجر التدوين المعرفي ..... يعقوب افرام منصور ..... ٤ ـ ١٣

كتابة الصورة ..... د . حنا بقاعين ..... ١٤ ـ ٢٢

الكتابة والتطور الحضاري في العراق القديم ..... ترجمة / كاظم سعد الدين ..... ٢٣ ـ ٣١

التعليم في العراق القديم ..... أ . د . أحمد مالك الفتيان ..... ٣٢ ـ ٣٦

صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية ..... أ . د . مروان عبد الملك ..... ٣٧ ـ ٤٨

كتب وماصنع منها في القرآن الكريم ..... د . محمد عبد المطلب البكاء ..... ٤٩ ـ ٥٨

الكتابة في عصر ماقبل الاسلام ..... أ . د . محمود الجادر ..... ٥٩ ـ ٦٥

المعجم الوجيز في مصطلحات الكتابة ..... أ . د . عناد غزوان ..... ٦٦ ـ ٧٣

كتب القبائل وبواعث تدوينها ..... د . احمد اسماعيل النعيمي ..... ٧٤ ـ ٨١

ما كتب على الصيون ..... عبد القادر التحافي ..... ٨٢ ـ ٩٠

تطور الخط العربي في العراق ..... اسامة ناصر النقشبندي ..... ٩١ ـ ٩٥

الخط العربي في المكتبة الشرقية ..... ا . د . حسين علي محفوظ ..... ٩٦ ـ ١٠٠

الاصلاح والجمالية في الخط العربي ..... أ . د . ناهض عبد الرزاق ..... ١٠١ ـ ١٠٩

الخط الكوفي نو الشرفات ..... د . نسيبة محمد الهاشمي ..... ١١٠ ـ ١١٩

صناعة الحبر عند العرب ..... ناجي محفوظ ..... ١٢٠ ـ ١٢٧

■ نصوص محققة

شرح قصيدة ابن البواب ..... يوسف ذنون ..... ١٢٨ ـ ١٤٥

بليوغرافيا الخط العربي ومايتصل به ..... اعداد ـ حسن عربيي الخالدي ..... ١٤٦ ـ ١٥٦

في المكتبة ..... عرض د . هدى شوكت ..... ١٥٧ ـ ١٦٠

www.dorat-ghawas.com

الاصلاح والجمالية في الخط العربي

أ . د . ناهض عبدالرزاق القيسي
قسم الآثار / كلية الآداب

لقد حظي الخط العربي باهتمام اولي الامر من المسلمين ورعايتهم منذ البداية حيث كتب القرآن الكريم بهذا الخط ، وبعد الفتوحات الاسلامية ودخول اقوام اعجمية الاسلام بدأ اللحن والقراءة الخاطئة لذا قام المصلحون اللغويون باصلاح الخط العربي وايصاله الى مراحل متقدمة ومن اهم خطوات الاصلاح تلك كان الشكل والاعجام ، والشكل : هو وضع الحركات للكلمة ، وهو تقيد الحروف بالحركات[1] ان كلمة (شكل) مأخوذة من شكال الدابة أي (اشد قوائمها بحبل) والسبب في ذلك ان الحروف تضبط بالشكل كما تضبط الدابة بالشكال والشكال هو الحبل الذي يشد قوائم الدابة[2] . فيمنعها من الهروب ، كذلك الحركات تضبط الكلمة في لفظها وتمنع اللحن أن يتسرب الى النطق على اسلوب مخالف للمألوف . لقد كانت الاقلام السابقة على العربية من الآرامية والنبطية خالية من الشكل ، في حين عرفت الخطوط السريانية الشكل ، خاصة بعد ان نقلوا الكتب المقدسة الى لغتهم بعد دخولهم في النصرانية ، وخافوا من اللحن في قراءتها فوضعوا الشكل للحروف خلال القران الرابع الميلادي[3] .

ولما كان الخط العربي قد انحدر عن الخط النبطي فلم يعرف الشكل اولًا وهذا ما كانت عليه النصوص العربية الاولى من القرن السادس الميلادي مثل (زبد واسيس وحران وام الجمال الثاني) .

ولكن الحال اختلف بعد دخول الكثير من الاقوام غير العربية ، التي لا تعرف العربية . إذ ظهرت عوامل الفساد في اللغة وظهر اللحن على الالسن ، وكاد اللحن في الكلام ان ينتشر مما حدا بالفصحاء من العرب ان ينبهوا أولي الأمر الى ذلك من المختصين باللغة الى اصلاح الأمر لحفظ اللسان ، وصيانة كتاب الله . وكانت الخطوة الأولى هي جمع مواد الكتابة المختلفة التي حملت نصوص القرآن الكريم وتم استنساخها على الرقيق ووزعت على الأمصار المفتوحة ، لكن المشكلة التي واجهت قراءة القرآن الكريم ، هي خطأ القراءة وعدم ضبط الحروف بالشكل ، وعدم تمكنهم من القراءة الصحيحة ، وخاصة المسلمين من غير العرب ، فالنصوص الاولى للقرآن كانت خالية من الشكل والاعجام (الحركات والتنقيط) في حين كان العربي يقرأ النص على السليقة وحسه فلم يعرف الخطأ أو الصعوبة في ذلك ، في حين كانت الحال على المسلم الاعجمي هي صعوبة التمييز بين الحروف المتشابهة مثل (الباء ، التاء ، الثاء ، النون والياء) وهي بدون نقاط

لقد ظهر اللحن في اللغة في عهد الرسول (ﷺ) عندما سمع رجلًا قد لحن بحضرته ، فقال رسول الله (ﷺ) (ارشدوا أخاكم فقد ضلّ)[4] وكان الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) ١١ - ١٣ هجرية يستحب أن يسقط القارىء الكلمة من قراءته على أن يلحن فيها[5]

www.dorat-ghawas.com

وذكر المؤرخ ابن الانباري ، ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) ١٣ ـ ٢٣ هجرية كان قد مرَّ بقوم يرمون فاستقبح رميهم فقال لهم ، (ما أسوأ رميكم) ، فقالوا : (نحن قوم متعلمون) فقال الخليفة عمر (رض) : (لحنكم أشد عليّ من فساد رميكم) .

وفي زمن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ٣٥ ـ ٤٠ هجرية الذي اتخذ (الكوفة) عاصمة لخلافته أصبحت الكوفة قبلة لطلاب العلم من كل حدب وصوب ، أصبحت الحاجة شديدة لانقاذ اللغة العربية ، فكان لابد من وضع قواعد لها تعصم الالسن من الخطا . ومن هنا بدأ دور المصلح اللغوي الاول أبو الاسود الدؤلي من البصرة ، والذي أجمعت معظم المصادر التاريخية الى الاشادة بدوره في الاصلاح الاول للغة العربية[٦] وقد تنبه أبو الاسود ـ المتوفى سنة ٦٩ هجرية ـ للخطر المحدق باللغة العربية وسلامتها خاصة عندما وصل اللحن في اللغة الى بيته ، عندما سألته ابنته : (يا أبت ما أحسنُ السماء ؟) برفع حرف النون ـ فاجابها نجومها ، فقالت اني ما أردت أي شيء منها أحسن ، إنما تعجبت من حسنها ، فقال لها : إذن قولي ما أحسن السماء ! (بفتح النون)[٧] وفي رواية ان ابا الاسود الدؤلي سمع شخصاً يقرأ القرآن بقوله ﴿ إنَّ الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ بالكسر ـ كسر حرف اللام من رسوله ـ في حين أن الصحيح يكون بالرفع في لفظة (الرسول) لا بالكسر ، فتعجب الدؤلي من ذلك قائلاً : ما ظننت أن أمر الناس آل الى هذا الحال ، بعد ذلك اتصل المصلح ابو الاسود بامير البصرة زياد بن ابيه ، حيث كان الدؤلي معلماً لاولاده وقال له : (اصلح الله الامير إني أرى العرب قد خالطت هذه الاعاجم ، وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم) ، وقد رفض الامير زياد بن ابيه ذلك[٨] ، وبعد أيام جاء رجل الى الامير زياد بن ابيه وقال له : « اصلح الله الامير توفي أبانا وترك بنون » فقال الامير زياد : ادعُ لي أبا الاسود فلما حضر قال له : « ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم » فاجاب الدؤلي : سافعل ما أمرَ به الامير[٩] .

خطوات إصلاح الشكل :

أولى خطوات اصلاح الشكل (الحركات) والمعنى ماخوذ من شكال الدابة أي رباط الدابة ـ كما ذكرنا ـ لان الحركات تضبط الحروف كما تضبط الدابة بالشكال من الهروب . وقد استخدم (التنقيط) وسيلة للشكل حيث طلب أبو الاسود الدؤلي من كاتبه أن يمسك المصحف وقال له إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه ، وان ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف (أي بجانبه) وان كسرت فاجلس النقطة من تحت الحرف ، وان اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنه (يعني تنويناً) فاجعل نقطتين ، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف[١٠] . وكان لهذا العمل الذي قام به المصلح الدؤلي أثره في صيانة اللغة العربية ، وحفظها من التحريف ، واللسان من الانزلاق . ان ضبط الحروف والكتابة لهما دور مهم في التطور الثقافي ، وان الكتابة بالصورة الصحيحة ، وبخط دقيق في رسمه وضبطه بعد الاصلاح كان له اثر كبير في تطور الخط وبالتالي زيادة النصوص ، بمواد مختلفة .

ان اصلاح الدؤلي لم يشمل جميع الحروف في المصحف بل اقتصر على بعض منها فقط ، أي الكلمات التي يقع اللبس في قراءتها ، فلو نقطت كلُّ الحروف لفسد المصحف ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قتلوا في سبيل الله ﴾ فقد نقط بين يدي القاف نقطة واحدة ولا ينقط على التاء شيئاً لان ضمها تدل على انهم فعلوا .[١١]

وقد اتبع أهل مكة نظاماً خاصاً في تشكيل الحروف فقد جعلوا الضمة فوق الحرف والفتحة أمام الحرف[١٢] .

وقد استخدم ابو الاسود الدؤلي مداداً (حبراً) مغايراً ، فاذا كانت حروف المصحف بالمداد الاسود فالتنقيط يكون بالاحمر أو باللون الاصفر[١٣] .

وفي الاندلس استخدموا أربعة ألوان للمصاحف ، هي ، اللون الاسود للحروف ، اللون الاحمر للشكل بطريقة النقط ، واللون الاصفر للهمزات ، واللون الاخضر لالفات الوصل[١٤] .

إنَّ الاصلاح الذي قام به أبو الاسود الدؤلي لم يكن كافياً في حفظ اللغة العربية وسلامتها وضبطها وانما كانت لحفظ اللسان من اللحن .

ب ـ الاعجام (التنقيط)

الاعجامُ في الخط هو التنقيط[١٥] . وهو تنقيط الحروف المتشابهة بالرسم لتجنب وقوع اللبس في قراءتها ، وذلك لتجنب التحصيف . والتصحيف وضع النقاط في غير أماكنها المناسبة لها .

لقد ظهر الاعجام في الكتابات السريانية ، والعبرانية في بعض الحروف غير أن الخط النبطي كان خالياً من الاعجام ، لذلك كانت النصوص العربية الاولى خالية من الاعجام أيضاً . على الرغم من ان البلاذري ذكر أن عامر بن جدرة كان قد وضع الاعجام في الخط[١٦] . ولكننا لم نجد في النصوص العربية الاولى حروفاً منقطة ، وفي المدة التي سبقت الاسلام لم نجد نصوصاً منقطة الا ما جاء به الشعر من خلال ما ذكره الشاعر الاخنس بن شهاب التغلبي الذي ذكر ما يلي :

لابنـــة حطـــان بن عـــوف منـــازل
كمـــا رقش العنـــوان في الـــرق كـــاتب

وقول الشاعر طرفة بن العبد :

www.dorat-ghawas.com

كسطـــــور الـــــرق رقّشـــــه
بـــــالضُحى مـــــرقّشٌ يشِمُـــــه

وقول الشاعر مرقش الاكبر :

الـــــدار قَفْـــــرٌ والـــرّســـوم كمـــا
رَقّش في ظَهـــــــــــر الأديم ، قَلَم

الرَّقْش والتّرقيش : الكتابة والتنقيط وحيّة رقشاء فيها نقط سواد وبياض[١٧] .

روي عن الرسول الكريم (ﷺ) في صدر الاسلام قوله : « اذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء »[١٨] .

وعن كاتب معاوية عبيد بن اوس الغساني قوله : كتبت بين يدي معاوية كتاباً ، فقال لي : يا عبيد ارقش كتابك فاني كتبت بين يدي رسول الله (ﷺ) كتاباً ، فقال لي : يا معاوية ارقش كتابك . قال عبيد : وما رقشه يا أمير المومنين قال : اعط كل حرف ما ينوبه من النقط ، ويبدو ان تنقيط الحروف كان موجوداً فقد ذكر عن عبدالله بن عبدالحكم حيث ذكر : « واخرج الينا مالك مصحفاً محلى بالفضة ورأينا خواتمه من حبل على عمل السلسلة في طول السطر . قال رأيته معجوم بالحبر وذكر انه لجده وان كتبه اذ كتب عثمان المصاحف[١٩] .

وقد نقطت الحروف عند الضرورة ، لان تنقيط كل الحروف يأتي بنتيجة عكسية ولهذا السبب جعل بعض الصحابة لا يحبذون التنقيط والحركات وذلك ليقرأه المصحف كل قارىء حسب لهجته[٢٠] .

ويظهر التنقيط واضحاً في نصوص البردية المؤرخة سنة اثنتين وعشرين في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ١٣ ـ ٢٣ هجرية .

وأشهر وثيقة مؤرخة سنة ٢٢ هجرية / ٦٤٣ ميلادية كتبت بخط لين ، وقد حافظت البرديات على الخط المدور دائماً . وهذه البردية محفوظة في المكتبة الوطنية في فينا ، في مجموعة رينر وهي مكتوبة بالخط اليوناني والخط العربي ، وقد عثر عليها في بلدة اهنس في مصر ، وتبدو الحروف العربية متاثرة بالخط المدني ، ويبدو أن الفاتحين العرب لمصر سنة ٢٠ هجرية نقلوا خطهم معهم الى مصر ، وفي نصوص هذه البردية نقط مثل حرف « النون والشين والزاي والذال والخاء » والحروف فيها مدورة ونصوص البردية المؤرخة كما يأتي :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أخذ عبدالله
٢ ـ ابن جبير واصحبه من الجزر من أ
٣ ـ من خليفة تذرق لابن ابو قير الاحد خليفة اصطفى لابن أبو قير الاكبر
٤ ـ من الجزر وخمسة عشر شاة أخر اصحب سفنه وكتبه وثقلاه في ؟
٥ ـ شهر جمدي الاول من سنة اثنتين وعشرين وكتب ابن حديدة .

ان وجود التنقيط على الحروف على هذه البردية المؤرخة سنة ٢٢ هجرية يؤكد ان النقط كان قد دخل الكتابة اليومية والتجارية اللينية قبل دخولها على الكوفي اليابس[٢١] .

كما نجد بعض الحروف المنقطة في نص سد الطائف المؤرخ سنة ثمان وخمسين هجرية ، بالقرب من الطائف في الحجاز سد بناه معاوية ، وهي اقدم كتابة عربية مؤرخة في الحجاز ، وكتبت بالخط اليابس وتظهر بعض الحروف المنقطة ولعلها أول كتابة عربية حجرية ظهر فيها النقط حتى الآن ونص سد معاوية كما يأتي :ـ

١ ـ هذا السد لعبدالله معويه
٢ ـ أمير المؤمنين بنيه عبدالله بن صخر
٣ ـ باذن الله لسنة ثمن وخمسين ا
٤ ـ للهم اغفر لعبدالله معويه ا
٥ ـ مير المومنين وثبته وانصره ومتع ا
٦ ـ [معا] لمومنين به كتب عمرو بن جناب[٢٢] .

وتظهر الحروف المنقطة في الياء من كلمة (معويه) من السطر الاول ، وفي كلمة (بنيه) من السطر الثاني ، وحرف (الثاء) من كلمة ثمن و (الخاء) و (الياء) في كلمة (خمسين) في السطر الثالث ، وحرف (الفاء) من كلمة اغفر ، والحروف (الثاء) و (الباء) و (التاء) من كلمة ثبته ، وحرف (النون) من كلمة (وانصره) وحرف (التاء) من كلمة و (متع) في السطر الخامس ، وحرف (النون) و (الياء) من كلمة المومنين وحرف (الباء) من كلمة كتب و (الباء) من اسم حبأب في السطر الاخير من النص ومن الاسباب المهمة في ظهور الاعجام ـ التنقيط ـ كان بسبب التصحيف في القراءة والتصحيف في اللغة مصدر الفعل صحّف ـ يصحف ومعناه قراءة النص بخلاف ما أراد كاتبه[٢٣] . والتصحيف ينتج من كثرة الاستنساخ والنقل فاذا كان الناسخ جاهلاً اللغة كثرت اخطاؤه ، والسبب أن الحروف بدون نقط . وذكر المؤرخ ابن عبدربه قوله : (كان اذا نسخ الكتاب مرتين عاد سريانياً) اي يصبح غير مفهوم ويبتعد عن أصله[٢٤] لذا ذكر المؤرخ العسكري قوله : (لا تاخذوا القرآن من مصحفين ولا العلم من صحَفي) .

وذكر العسكري ايضاً ان شخصاً قرأ القرآن وكان ابوه يسمعه فقرأ : « ألف لام ميم ذلك الكتاب لا ريب فيه » فقال له أبوه : (دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال)[٢٥] .

وقد ذكرت المصادر والكتب امثلة من أخطاء التصحيف منها : ان الرسول الكريم محمد (ﷺ) كان يكره النوم في القدر ،

www.dorat-ghawas.com

اي لا يحب ان ينام في ليلة القدر ، ليلة نزول القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك ، فذكرت بعد تصحيفها كمايلي : ان الرسول (ﷺ) كان يكره النوم في القدرة وأخرى أن الرسول محمد (ﷺ) كان يستحب الغسل في يوم الجمعة ، اي يحب الاستحمام في يوم الجمعة لاداء صلاتها ، وصحفت ان الرسول (ﷺ) كان يستحب الغسل في يوم الجمعة[٢٦] .

ومثال آخر في قراءة نص : و ﴿ لتكون آية لمن خلفك ﴾ فقرأت بعد تصحيفها ﴿ لمن خلقك ﴾[٢٧] .

ولم يكن التصحيف حصراً على الناس الذين يجهلون اللغة العربية والاعاجم فقط ، بل وقع في التصحيف عند كثير من القضاة والكتاب وحتى الامراء ، وفي ذلك يذكر المؤرخ الاصفهاني : (وقد فضح التصحيف الكثير من القضاة والعلماء والكتاب والامراء وذوي الهيئات من القراء)[٢٨] .

ان تشابه الحروف بعضها لبعض وهي بدون تنقيط أوقع الكثير من اللغويين في مناقشات أخذت الوقت الكثير منهم[٢٩] .

لهذه الاسباب وغيرها جاء الاصلاح الثاني في اللغة العربية في موضع الشكل (الحركات) خلال العصر العباسي الأول على يد المصلح اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي سنة ١٧٠ هجرية) وذلك بعد ان جعل الحركات بجرات أو مدات علوية وسفلية بدلاً من النقاط التي استخدمها المصلح اللغوي الاول أبو الاسود الدؤلي . وقد وضع الفراهيدي ثماني علامات وهي الفتحة ، الكسرة ، الضمة ، السكون ، الشدة ، المدّة ، وعلامة الصلة ، والهمزة ، وقد وضعها بلون المداد ـ الحبر ـ للنصوص ، لذلك كان الخليل بن أحمد الفراهيدي اول من كتب ، وشكل ، وأعجم بلون المداد الواحد نفسه .

وقد ذكر المؤرخ الداني : الشكل الذي استخدمه الفراهيدي ماخوذاً من صور الحروف نفسها فالضمة واو صغير ووضع الحركات فوق الحروف حتى لا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة الف مبطوحة فوق الحرف[٣٠] .

واطلق على تنقيط الحروف المتشابهة بالاعجام وقد ذكرت معاجم اللغة ذلك « قال ابن جني : أعجمت الكتاب أزيلت استعجامه ، وكتاب معجم إذا اعجمه كاتبه بالنقط »[٣١] .

وعدّ نصر بن عاصم (المتوفى سنة ٨٩ هـ) أول من قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين اماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف . وكان مع استعمال النقط يقع التصحيف ايضاً . ويعد نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف في حين يذكر آخرون ان يحيى بن يعمر كان اول من نقطها[٣٢] .

كان الاعجام ضرورة تفرضها أشكال الحروف العربية . فالتشابه بين عدد من الحروف منها خمسة حروف تشترك في شكل واحد (ب . ت . ث . ن . ي) فمن البديهي ان يكون التصحيف . ويجد القارىء صعوبة كبيرة في قراءة نص بدون تنقيط ، وقد لا نصل الى ما أراده الكاتب من معنى ويعود الفضل في تنقيط المصحف بصورة كاملة الى كل من نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هجرية ويحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩ هجرية ، وقد ذكر الاخير العديد من المؤرخين[٣٣] .

وبعد ظهور الاعجام اصبح ترتيب الحروف الهجائية كما يأتي :

(ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) واضافوا لها روادف (فخذ ضظغ) ، واصبح الترتيب الجديد بعد الاعجام للحروف حسب اشكالها كالآتي : (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي) واستخدام هذا الترتيب في معاجم اللغة .

ان الغاية من الشكل والاعجام حفظ اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم بالصورة الصحيحة من دون تصحيف أو تحريف لان صيانة القرآن تعني صيانة اللغة العربية .

لقد وقف بعض الفقهاء من الاعجام (التنقيط) موقف المعارض حتى وصل الحد ببعضهم الى تكريهه وفي ذلك ذكر المؤرخ السجستاني (عن أبي الرجاء قال (سألت محمد بن سيرين عن المصحف المنقط قال : (اخشى ان يزيدوا في الحروف)[٣٤] .

وقال عبدالله بن مسعود : « جرّدوا القرآن »[٣٥] .

وقد قال الاوزاعي عن قتادة قال : (وددت ان ايديهم قطعت) يعني من نقط المصاحف[٣٦] .

ويذكر الصولي : كره الكتاب الشكل والاعجام الّا من المواضع الملتبسة من كتب العظماء الى من دونهم ، فاذا كانت الكتب ممن دونهم اليهم ترك ذلك في الملبس وغيرهم إجلالاً لهم عن ان يتوهم عنهم الشك وسوء الفهم وتنزيهاً لعلومهم وعلو معرفتهم عن تقدير الحروف[٣٧] . وقد أيدّ بعض الفقهاء واستخدم الاعجام لحفظ اللغة من الخطأ . وذكر المؤرخ الداني في ذلك قول الحسن فقال : لا باس تنقيطها بالاحمر . ويعني اللون (الحبر) وفي مكان آخر يذكر : أو ما بلغك كتاب عمر بن الخطاب (رض) ان تفقهوا في الدين ، واحسنوا عبارة الرؤيا ، وتعلموا العربية[٣٨] .

بعد اكتمال عمليات اصلاح اللغة وظهور الشكل والاعجام لضبط الخط العربي وصيانته بعد اختلاط العرب بالاعاجم وجهل بعضهم بالعربية وانتشار التصحيف وكثرة النساخ ، هذه الاسباب وغيرها دفعت المختصين لاحداث الاصلاح ليستقر الحرف العربي بشكله الواضح ولم تبق حروف مبهمة يصعب قراءتها والاعجام

www.dorat-ghawas.com

(التنقيط) ميزّ الحروف بشكل واضح ، والمثل الشائع بين الناس عند توضيح قضية معينة يقولون : (وضع النقاط على الحروف) والمقصود بها تمييز الحروف المتشابهة بالشكل . وعلى الرغم من الاصلاحات الكبيرة في الشكل والاعجام للخط العربي الا أنه لم يتخلص من التصحيف ، ولم تسلم الالسن من اللحن ومن اسباب ذلك أن هناك من يعد الشكل والاعجام من باب الجهل باللغة من ذلك ما ذكره القلقشندي : « نظر محمد بن عباد الى رجل وهو يقيد البسملة فقال : لو عرفته ما شكلته »[٣٩] .

ويقع الكثير من القراء في خطا القراءة حتى ولو كان الخط مشكولًا ، والحرف معجماً .

وفي ذلك يقول الشاعر أبو تمام ما يلي :

تـرى الأمر معجـومـاً اذا كـان معجماً
لـــديـه ومشكـولًا اذا كـان مشكـولا[٤٠]

تطور الخط العربي وبلوغه الجمالية .

ان قابلية الحرف العربي على المطاوعة وتقبله العناصر الزخرفية النباتية منها خاصة ، وتفنن الخطاط المسلم عند كتابة نصوص من القرآن الكريم أدت الى تطور الخط العربي الكوفي من البسيط الى المورق .

لقد كان القرآن الكريم ومازال خير حافظ للغة والكتابة العربية ومشجعاً على تعلمها حيث تضمن كتاب الله العديد من الآيات ولا سيما وان أول آية نزلت قال فيها سبحانه : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ (سورة العلق) . ثم : ﴿ ن والقلم وما يسطرون .. ﴾ (سورة القلم) ، وقد اقسم الباري عز وجل بالحرف في العديد من الآيات ، اضافة الى العديد من الاحاديث النبوية الشريفة التي حثت على تعلم وتطور الكتابة العربية .

وقد ذكر العديد من المؤرخين اهمية الخط ومنهم الماوردي الذي ذكر : « بعظم خطره ، وجلالة قدره ، وظهور نفعه وأثره »[٤١] ، وقال الزبيدي في ذلك حول تجويد الخط : (إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم : فبين السين فيه »[٤٢] ، ويذكر القلقشندي : كره حذف اسنان السين منها ، وكره أيضاً تصغير اسم الله فيها ، واستحب ان تكون ألِفاتُها تامةً ولاماتُها قويمةً ، واستحب مد الحاء من كلمة الرحمن[٤٣] كما ان قطع الكلمة الواحدة بين سطرين من الامور غير المرغوبة وهذا امر مستقبح عند الكتاب[٤٤] .

من ذلك نلمس ان معظم المؤرخين اسهموا في تجميل الخط العربي على مرّ العصور الاسلامية ، ومنذ وقت مبكر .

وقد سبق هؤلاء المؤرخين الخلفاء الراشدين (رض) من خلال النصائح التي قدموها للكتاب في مجال تجويد الخط منها ما ذكره الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رض) : « احسن الخط أبينه وأبَين الخط أحسنه »[٤٥] وقوله : « شر الكتابة المشق وشر القراءة الهذرمة »[٤٦] ، وقوله « عظموا كتاب الله » بعد أن شاهد مصحفاً مكتوباً بقلم دقيق فكره ذلك[٤٧] .

وكان للخليفة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) (٣٥ - ٤٠ هجرية) اهتمام في تجويد وتجميل الخط العربي من ذلك قوله لاحد كتابه : « الق دواتك واطل سن قلمك ، وخرج بين السطور ، وقرمط والزم الاستواء » ، وكان يتابع كتاب المصاحف في الكوفة ويبدي لهم النصائح بشان الاهتمام في الكتابة[٤٨] .

وفي العصر الاموي كان اهتمام الخلفاء الامويين بالخط العربي وتجويده وبلوغه زهواً اكثر حيث نال الخطاطون حظوة كبيرة دون غيرهم من الفنانين وربما كان هذا الاهتمام بسبب صورة التشريف والتكريم التي نالها الخط من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وقد مارس بعض الخلفاء تجويد الخط لا سعياً وراء الكسب المادي وإنما للتشريف في ممارسة هذا الفن[٤٩] .

ان شكل الحرف العربي يتنوع بنوع المادة التي يكتب عليها الحرف : فالحرف الواحد لا يمكن كتابته بشكل واحد على الرق أو البردي وبين نفس الحرف على الاحجار ، والمعادن أو الاخشاب ، فطبيعة المادة المستخدمة للكتابة تلعب دوراً مهماً في رسم الحرف . وفي نوع الخط ، فالكوفي يغلب عليه اليبوسة والزوايا القائمة غير الخط اللين والذي يغلب عليه التدوير ، وهذا الخط الاخير هو المستخدم في الكتابة اليومية أو الرسائل والعقود ، ومن هذا النوع ما ظهر منذ صدر الاسلام على البردية المؤرخة في سنة ٢٢ هجرية والتي تضمنت عقد بيع خمس وستين شاة وتحمل تاريخها المذكور أعلاه .

كما كان حال المصاحف الاولى التي كتبت على الرق وهي اقرب الى اللين منها الى الكوفي اليابس . في حين ظهر الكوفي اليابس ذو الزوايا القائمة على شواهد القبور الحجرية وأميال الطريق الحجرية وفي نصوص قبة الصخرة المعمولة بالفسيفساء في سنة اثنتين وسبعين للهجرة والتي بلغ طول الشريط الكتابي فيها نحو ٢٤٠ متراً[٥٠] ، حيث تضمن نصوصاً من ذكر الله الحكيم وفي نهاية الشريط سنة الانشاء اثنتين وسبعين ـ كما مرّ ذكرها ـ وكان نوع الخط الكوفي البسيط . وتطور الكوفي البسيط عندما تقبل العناصر الزخرفية وكان التوريق الذي ظهر على هامات ونهايات الحروف ليزيد الخط جمالًا ، وكان هذا التطور طبيعياً للاهتمام الزائد بهذا النوع من فنون الزخرفة بعد ان اقتصرت منذ صدر الاسلام على العناصر النباتية والهندسية ثم جاء الخط واصبح القاسم المشترك الاعظم لكل الفنون الثابتة منها والمنقولة . ووجد الخطاط ان اطراف بعض الحروف تنحدر عن مستوى الحروف الاخرى مثل النون والواو والراء كما ان هامات

www.dorat-ghawas.com

بعض الجروف لا ترتفع بمستوى بعض الحروف مثل الالف واللام وهذه الحروف هي الحاء ، والكاف ، والهاء ، وان الفراغات تسببها الحروف الاولى والثانية ، لذا حاول الخطاط التخلص منها بواسطة الزخارف النباتية ، وكانت هذه هي الخطوة الاولى للتوريق ، أما الخطوة الثانية فقد تمثلت بمد الاطراف المستديرة لتملأ الفراغات الافقية وامتدت هامات ونهايات الحروف لتصبح مشابهة لنصف ورقة نباتية منطوية او منثنية ثم اضاف اليها ارتفاعاً وشبيها متكاملاً لشكلها المورق[٥١] وكانت هذه الخطوة منطلقاً لخطوات متطورة اكثر في الخط العربي . وقد حاول بعض المستشرقين غبن حق العرب في مجال تطور الخط الكوفي من البسيط الى المورق ، عندما اعتقد المستشرق كروهمان[٥٢] ان الخط الكوفي المورق كان قد تاثر ببعض الحروف القبطية العبرية واليونانية ، علماً بأن تلك المخطوطات التي أشار اليها هذا المستشرق كان فيها حرفٌ واحدٌ وهو الحرف الاول من الصفحة عليه التواء لرأس الحرف لا كما هو الحال في الخط الكوفي المورق والذي يخرج التوريق من بدن الحرف نفسه .

لقد نسي كروهمان أو تناسى المدة الزمنية بين تلك المخطوطات وبين ظهور الخط المورق والتي تزيد على خمسة قرون من الزمان ، كما انه لم يذكر قابلية الحرف العربي على المطاوعة وتقبله للزخارف . كما انه لم يعرف جهد الخطاط في اخراج الخط الذي كان يكتب نصوصاً من القرآن الكريم على واجهات المساجد أو المدارس حيث كان يبذل جهوداً مضاعفة لأخراجه بالشكل الجميل ما استطاع كما أن التوريق في الخط العربي نبع من رسم الحرف وشمل جميع الحروف الابجدية لا حرفاً واحدا فقط . ان رأي هذا المستشرق يُفسّر على جانبين :

الاول : عدم معرفته لشعور المسلم وتعامله مع الخط وخاصة خط القرآن الكريم حيث كان الخطاط المسلم يتوضا قبل أن يبدأ الكتابة لانه يعدها عملاً مقدساً ، وهذا الاحساس لا يحسه الا المسلم ، والسبب الثاني أنه مدفوع من قبل جهات تحاول الاساءة للحضارة العربية الاسلامية في ذكر بعض تلك الآراء المشوهة . ولدينا الكثير من الامثلة على ذلك فقد صرفت مؤسسات مشبوهة مبالغ طائلة الى بعض المترجمين ليترجموا كتباً في الفنون الاسلامية مليئة بالمغالطات ، وطمس فضل العرب في الفنون ، منها كتاب المستشرق ديماند[٥٣] عن الفن الاسلامي الذي ترجمه السيد محمد أحمد عيسى عام ١٩٤٤ لحساب مؤسسة فرانكلين للطباعة ، لقد زين الخط العربي المورق الكثير من التحف مثل المنسوجات والخزف والنقوش التذكارية ، والعمائر وشواهد القبور ، والتحف المعدنية والخشبية وحتى المسكوكات التي لا تزيد مساحتها عن ٢ سنتمتر ، وهي معمولة اصلاً عن قالب بالصورة المعكوسة والغائرة ، وعند سكها تظهر بالصورة الصحيحة والبارزة . وهذا ما يؤكد قدرة الخطاط العربي المسلم منذ وقت مبكر على أن يفننه وينقله لمرحلة جمالية أخرى وهي الخط الكوفي المزهر ، وذلك بتحوير الورقة النباتية التي كانت على هامة أو نهاية الحرف في الخط المورق الى ورقتين بثلاثة فصوص وزينة مزهرة ويعد هذا النوع من الخط ، تطوراً وتنوعاً ووفرة متميزة ، والعناصر النباتية من أنصاف الاوراق والاوراق الكاملة والاغصان النباتية بفروعها التي تنبت منها الاوراق والازهار معاً[٥٤] .

وظهر الخط الكوفي المزهر في شواهد القبور في مصر منذ القرن الثالث الهجري وتجلت نصوص الكوفي المزهر في النصوص القرآنية في المسجد الازهر ٣٥٩ - ٣٦١ هـ - ٩٠٠ - ٩٧٢ م والمسجد الحاكم بأمر الله في القاهرة من العصر الفاطمي كذلك ظهر مثل هذا النوع من الخط على واجهات الابنية في آمد[٥٥] .

ويزداد الاهتمام بالخط العربي من قبل الخلفاء والامراء ، وابداع الخطاطين ويظهر نوع جديد من أنواع الخط الكوفي هو الخط المضفور ، اي ان هامات الحروف تلتف على بعضها بشكل ضفائر وعنها اخذت التسمية وقد تضفر حروف الكلمة الواحدة ، كما تضفر كلمتان متجاورتان ، واكثر لتحصل على اطار جميل من التضفير وأقدم الامثلة للحروف المضفورة حملتها المسكوكات الفضية المؤرخة سنة ٣٢٢ هجرية حيث يظهر اللام لام ألف « لا » ثم شاع في النصوص القرآنية على مساجد القيروان بتونس من سنة ٤٣١ هجرية ، وقد شاع استخدام الكوفي المضفور في العصر المملوكي بمصر ، وكذلك في شمال افريقيا ، وعنها وصل الى الاندلس .

وكان للخط العربي اثر واضح في الفنون الاوربية حيث استخدم في العمائر والتحف لما وجدوا فيه من جمالية وابداع ، ونجد في كتب المرب والمستشرقين الكثير من الشواهد على ذلك[٥٦] .

مما تقدم نلمس اهتمام المصلحين في موضوع الشكل والاعجام واحترام الخطاطين بتطور الخط الى مراحل متقدمة ، وتشجيع الخلفاء والامراء والحكام للخطاطين ، ولم يتوقف الاهتمام بالخط العربي الى يومنا هذا اذ مازال الخطاطون يتبارون في ذلك .

وصدق الشاعر حين قال :

وما من كاتب الا سيفنى
ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

www.dorat-ghawas.com

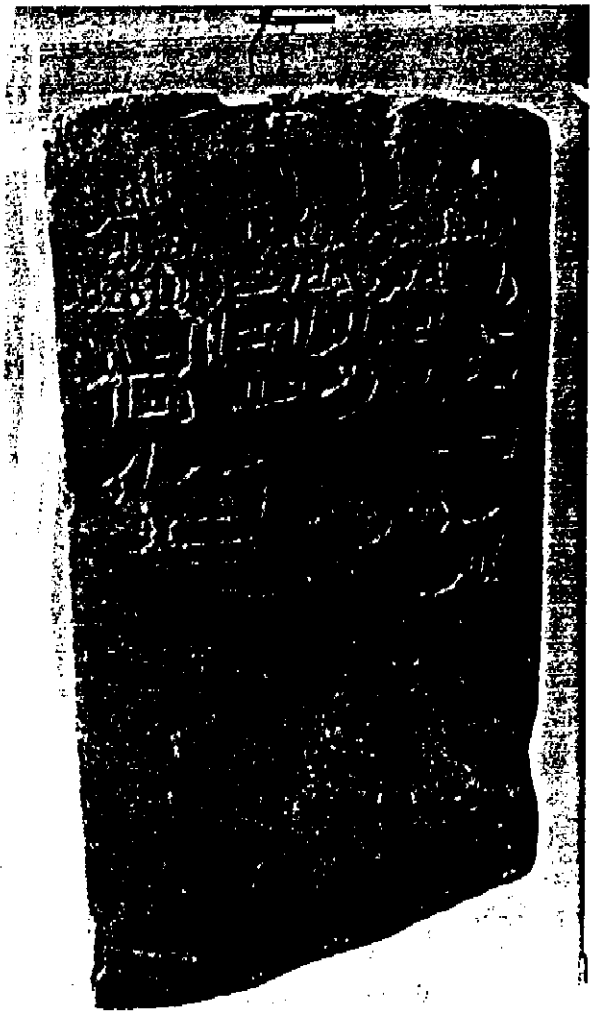

١ - اقدم شاهد قبر من سنة ٣١ هجرية

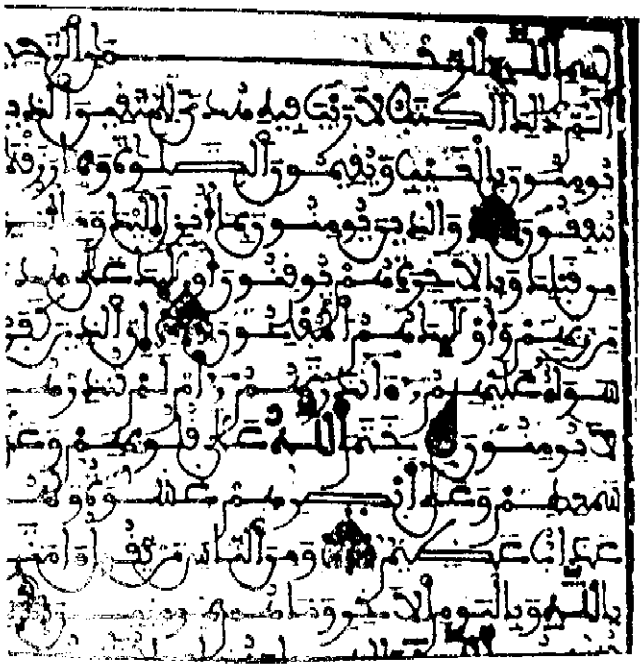

٢ - الخط في مرحلة الاصلاح

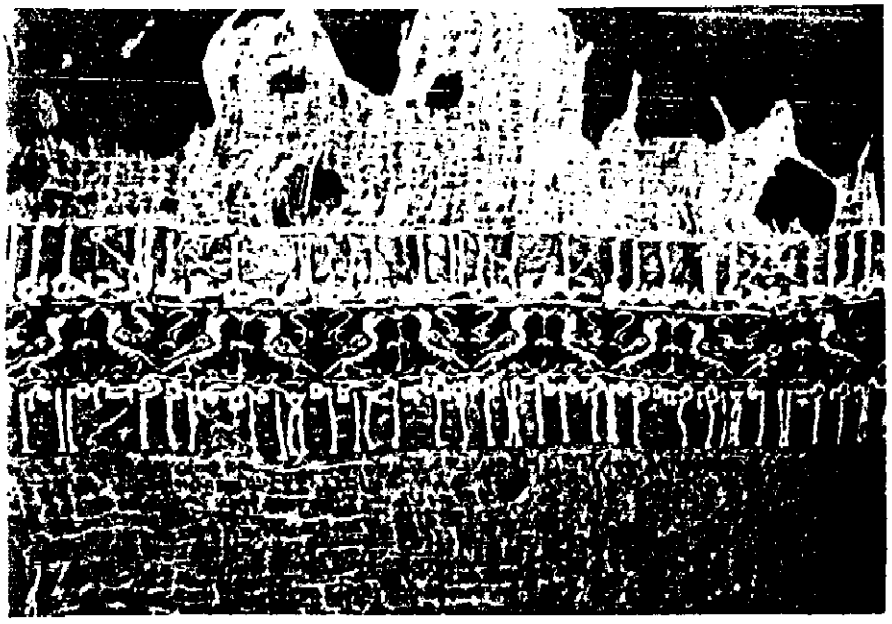

٣ - الخط على المنسوجات

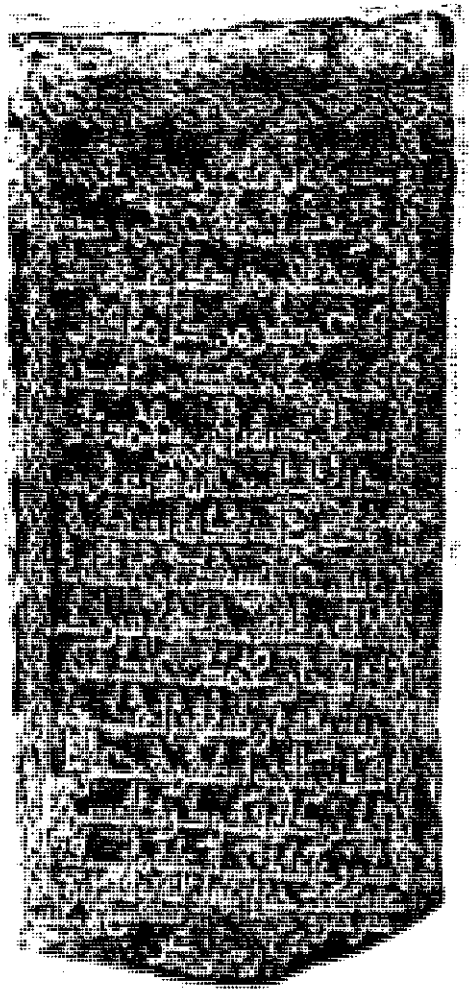

٤ - شاهد قبر بالخط الكوفي المورق

www.dorat-ghawas.com

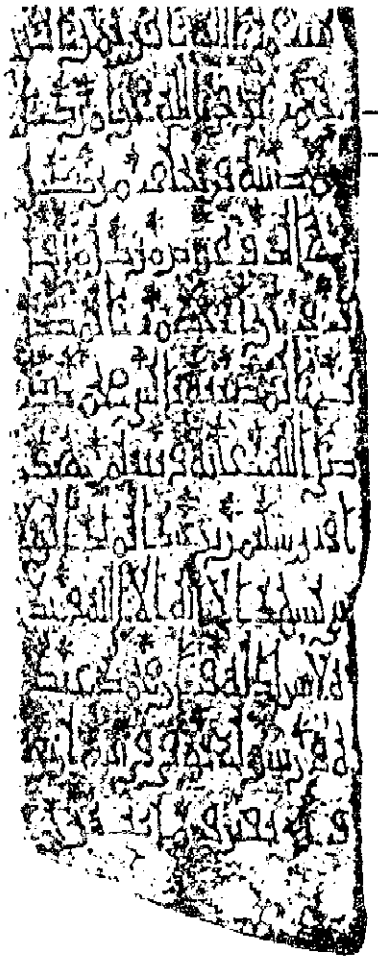

٥ – شاهد قبر بالخط الكوفي المزهر

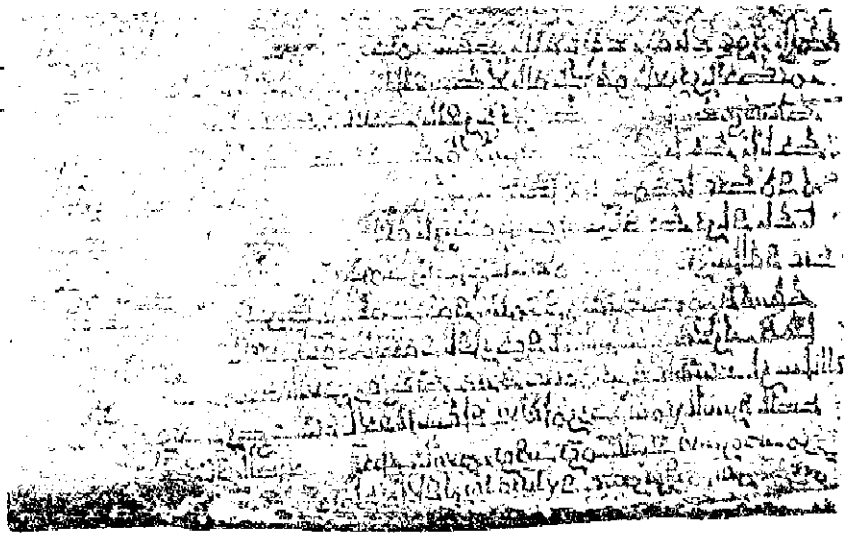

٦ – شاهد قبر بالخط الكوفي البسيط

الهوامش

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ ١١ ص ٣٥٨ .
(٢) الزبيدي ، تاج العروس جـ ٧ ص ٣٩٣ .
(٣) سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي ـ بغداد ١٩٧٧ ص / ١٤٧ ـ ١٤٨ .
(٤) الرافعي : تاريخ آداب العرب جـ ١ ص / ٢٤٢ .
(٥) الرافعي : المصدر السابق ص / ٢٤٠ .
(٦) السيرافي : أخبار النحويين ص ١٢ الانباري : نزهة الألباء في طبقات الادباء ص / ٨ .
الزبيدي : طبقات النحويين ص / ١٣ .
(٧) السيرافي : أخبار النحويين ص / ١٤ .
(٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ص / ٢١٦ .
(٩) ابن النديم . الفهرست ص / ٤٠ .
(١٠) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٣ ص / ١٦٠ ـ ١٦١ ، ابن النديم : الفهرست ص / ٤٠ .
(١١) السجستاني : كتاب المصاحف ص / ١٤٥ .
(١٢) ابو عمرو الداني : الحكم في نقط المصاحف ص / ٩ .
(١٣) ابو عمرو الداني : المصدر السابق ص / ٢٠ .
(١٤) تركي عطية عبود : الخط العربي الاسلامي ص / ١٢ .
(١٥) الزبيدي : تاج العروس : المجلد الثامن ص / ٣٩١ .
(١٦) البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ٣ ص / ٥٧٢ .
(١٧) ينظر ابن منظور : لسان العرب / المجلد السادس ص / ٣٠٥ .
(١٨) ابن الاثير : اسد الغابة جـ ١ ص / ١٩٣ .
(١٩) سهيلة الجبوري : اصل الخط العربي وتطوره ص / ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٢٠) ابن الجزولي : النشر في القراءات العشر جـ ١ ص / ٢٣ .
(٢١) الدكتور صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي . بيروت ١٩٧٢ ص / ٣٧ ـ ١١٦ .
(٢٢) الدكتور صلاح الدين المنجد : المصدر السابق ، ص / ١٠١ .
(٢٣) ابن منظور : لسان العرب جـ ٩ ص / ١٨٧ .
(٢٤) ابن عبدربه العقد الفريد جـ ٢ ص / ١٢٦ .
(٢٥) ابو احمد العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف ص / ١٠ ، ١٢ .
(٢٦) الاصفهاني ، التنبيه على حدوث التصحيف ص / ٢٣ .
(٢٧) العسكري . مصدر سابق ص / ٧٤ .
(٢٨) حمزة الاصفهاني : المصدر السابق ص / ٣٢ .
(٢٩) الكرملي : نشوء اللغة العربية ص / ٢٧ .
(٣٠) ابو عمرو الداني : المحكم في نقط المصاحف ص / ٧ .
(٣١) ابن منظور : لسان العرب مجلد ٢ : ص / ٦٩٨ .
(٣٢) ابو عمرو الداني : المصدر السابق ص ٦ .
(٣٣) القلقشندي : صبح الاعشى ص / ١٠٩ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة الجزء الاول ص / ٢١٧ .
(٣٤) السجستاني . كتاب المصاحف ص / ١٤٢ .
(٣٥) السيوطي جلال الدين : الاتقان في علوم القرآن جـ ١ ص / ١٧١ .
(٣٦) السجستاني : كتاب المصاحف ص / ١٤٢ .
(٣٧) ابو بكر الصولي : ادب الكتاب ص / ٨ .
(٣٨) الداني : ابو عمرو الحكم في نقط المصاحف ص / ٢ و ص / ١٢ .
(٣٩) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٣ ص / ١٦١ .
(٤٠) القلقشندي : المصدر السابق جـ ٣ ص / ١٦٠ .
(٤١) الماوردي : أدب الدنيا والدين ص / ٤٩ .
(٤٢) الزبيدي : حكمة الاشراف ص / ٦٧ .
(٤٣) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٦ ص / ٢٢١ .
(٤٤) الصولي : ادب الكتاب ص / ٥٦ .
(٤٥) التوحيدي : ثلاث رسائل ص / ٣٨ .

www.dorat-ghawas.com

(٤٦) الصولي : المصدر السابق ص / ٥٦ .

(٤٧) حمزه حمود حمزه : التوريق والتزهير في الخط الكوفي حتى منتصف القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير ، ص / ١٤ بغداد ١٩٨١) .

(٤٨) السجستاني : كتاب المصاحف جـ ٤ ص / ١٢٠ - ١٣١ .

(٤٩) حسني الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية جـ ١ ص / ٤٧٥ .

(٥٠) د . عبدالعزيز مرزوق : الاسلام والفنون الجميلة ص / ١٠ .

ود . صفوان التل : تطور الحروف في القرن الاول الهجري عمان ١٩٨١ ص / ٥٠ .

(٥١) الدكتور احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها في العصر الفاطمي جـ ١ ص / ١٩٢ .

(٥٢) G. ohman, Abbasid Foloegrphepp 96 - 120 .

(٥٣) Dimand A . Hand book of Mohammeden Decorativ Arts - Newyork 1930 .

(٥٤) حمزة حمود حمزة : المصدر السابق ص / ١٦٥ .

(٥٥) المصدر السابق ص / ١٨٦ - ١٨٨ .

(٥٦) د . صلاح حسين العبيدي الاثار العربية الاسلامية واثرها في الفنون الاوربية في مجلة كلية الاداب العدد ٢٣ ١٩٧٨ ص / ٤٨٤ - ٤٨٩ .

كريستي : تراث الاسلام الجزء الثاني ص / ١٧ - ١٨ .

ايتيجارون : في التصوير عند العرب / ترجمة عيسى سلمان ، سليم طه التكريتي بغداد ١٩٧٣ ص / ٤٤ .

مصادر البحث

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن الاثير ، عزالدين ابو الحسن اسد الغابة في معرفة الصحابة ١٩٣٧ .

٣ - ابن خلكان ، ابو العباس احمد بن محمد : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان مصر ١٩٤٨ .

٤ - ابن عبدربه ، ابو عمر احمد بن محمد : العقد الفريد - القاهرة ١٩٤٦ .

٥ - ابن منظور ، ابن الفضل الافريقي : لسان العرب . بيروت ١٩٥٦ .

٦ - ابن النديم . محمد بن اسحق : الفهرست . بيروت . ١٩٦٤ .

٧ - البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان . ١٩٥٧ .

٨ - الباشا ، حسن . الفنون الاسلامية والوظائف عن الاثار العربية .

٩ - الجبوري ، سهيلة ياسين : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي بغداد ١٩٧٧ .

١٠ - الداني ، ابو عمرو عثمان : المحكم في نقط المصاحف ، دمشق ١٩٦٠ .

١١ - حمزة ، حمود حمزه . التوريق والتزهير في الخط الكوفي حتى منتصف القرن الخامس الهجري رسالة ماجستير بغداد ١٩٨١ .

١٢ - الزبيدي : محب الدين الواسطي : تاج العروس من جواهر القاموس . ١٨٦٩ .

١٣ - السجستاني ، ابن بكر عبدالله بن الاشعث / كتاب المصاحف ١٩٣٦ .

١٤ - السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن . الاتقان في علوم القرآن . القاهرة ١٩٦٨ .

١٥ - العبيدي ، د . صلاح حسين الاثار العربية الاسلامية واثرها في الفنون الاوربية في عصر النهضة . مجلة كلية الاداب العدد ٢٣ بغداد ١٩٧٨ .

١٦ - فكري ، د . احمد مساجد القاهرة ومدارسها القاهرة / ١٩٦٥ .

١٧ - القلقشندي . ابو العباس احمد : صبح الاعشى في صناعة الانشا - القاهرة / ١٩١٣ .

١٨ - مرزوق د . عبدالعزيز : الاسلام والفنون الجميلة . القاهرة ١٩٥٩ .

www.dorat-ghawas.com